

قرية "الفاو"

صورة للحضارة العربية قبل الإسلام

في المملكة العربية السعودية



عرض : الدكتور أحمد حسن غزال

يقدم هذا الكتاب في عرض شيق ودراسة علمية جادة النتائج الأولية لأحدث الاكتشافات الأثرية في منطقة الشرق الأوسط . وهي « قرية » الفاو ، التي تبعد حوالي ٧٠٠ كم إلى الجنوب الغربي من مدينة الرياض ، والتي كشفت عنها بعثة كلية الآداب بجامعة الملك سعود ، ويشرف عليها الدكتور عبدالرحمن الطيب الأنصاري منذ عام ١٩٧٦م . ويذكر الدكتور الأنصاري أن الدراسات التفصيلية لكل المعثورات التي تم الكشف عنها في السنوات العشر الماضية تعد الآن ، بعد تصنيفها ، لتصدر في عشرة مجلدات .

وتكمن أهمية هذا الكتاب في أن المؤلف يعرض للقارىء من خلال مجموعة هائلة من الصور والتخطيطات الدقيقة للمكتشفات الأثرية المزودة بشروح وتعليقات وافية ، صورة حية لما كانت عليه إحدى المناطق القديمة وسط الجزيرة العربية ، وأهميتها في إعطاء صورة واضحة ومحددة عن دورها في ازدهار الحضارة العربية القديمة ودورها الفعال في منطقة الشرق الأدنى القديم ..

والكتاب أصدرته جامعة الملك سعود سنة ١٩٨٢م - بمناسبة مرور خمسة وعشرين عاماً على إنشائها ؛ ليعبر عن أحد الانجازات الناجحة التي قامت بها الجامعة في مجال الدراسات والاكتشافات الأثرية في المملكة العربية السعودية .

ويبلغ الكتاب في ٢٠٩ صفحات ، منها ١٤٩ صفحة باللغة العربية و٦٠ صفحة أخرى تحوى موجزاً باللغة الانجليزية . ويضم بين هذه الصفحات أكثر من ٣٠٠ صورة ملونة وتخطيطات متعددة للمعثورات الأثرية ، في طباعة فاخرة ، زودت جميعها بشروح وافية باللغتين العربية والانجليزية ..

ويلتزم المؤلف للقارىء « قرية » الفاو ، فيذكر أنها تشرف على الحافة الشمالية الغربية للربع الخالي على بعد حوالي ٧٠٠ كم إلى الجنوب الغربي من مدينة الرياض و٢٨٠ كم إلى الشمال الشرقي من مدينة نجران في المنطقة التي يتداخل فيها وادي الدواسر ، ويتقاطع مع جبال طويق عند قوطة مجرى قناة تسمى بالفاو . ومن هنا جاءت نسبتها حديثاً إلى الفاو . تحريفاً بها وتلييناً لها عن باقي القرى المجاورة . وبذلك تقع « قرية » على الطريق التجاري الذي يربط بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها . وشمالها الشرقي ؛ حيث كانت تبدأ القوافل من الممالك الجنوبية متجهة إلى نجران ، ومنها إلى « قرية » ومنها إلى الأخلاج فالهامة ثم تنجح شرقاً إلى الخليج وشمالاً إلى وادي الرافدين وبلاد الشام . ومن هنا جاءت

أهميتها كمركز تجارى واقتصادى هام فى وسط الجزيرة العربية .

أما عن المصادر التى حدثتنا عن « قرية » فيذكر المؤلف أن الاهتمام بها كموقع أثرى بدأ منذ الأربعينات، وعندما زار الموقع بعض الرحالة الأوربيين على فترات متقطعة ، وكانت نعمة ورحلاتهم جمع بعض النقوش الطاهرة ودراستها والاشارة الى بعض أنقاض المباني والتلال ثم رسم خارطة لها . ومع عام ١٩٧١م قامت بعثة كلية الآداب بجامعة الملك سعود بدراسة علمية حديثة للموقع وتحديد المنطقة الأثرية هناك . لتبدأ فيها التنقيب الأثرى بطريقة علمية منظمة . ابتداء من العام التالى ١٩٧٢م فى مواسم سنوية متتالية حتى الآن . ومن المتوقع أن تمتد أعمال التنقيب فيها الى حوالى عشرين عاما قادمة .

ومن الملاحظ أن ذكر « قرية » قد جاء فى المصادر الإسلامية بشكل محدود . فلم يذكرها إلا البكري والمقداني . وربما يرجع ذلك إلى أن دويها كمركز تجارى او مستقر حضارى كان قد انتهى قبل ظهور الاسلام . ويؤكد ذلك عدم اكتشاف آثار اسلامية بموقعها حتى الآن .

أما الكتابات التى اكتشفت بالموقع : فكانت من أهم المصادر بالنسبة للباحث . فقد أشارت إلى « قرية » وسُمّتها « قرية ذات كهل » وكهل هذا الذى أشارت إليه هذه الكتابات العربية القديمة . كشفت الحفائر الأثرية عن صوره منقوشة برسومة على جدران سوق « قرية » ومنازلها . وعلى عملاتها وسباخرها . وأبضا على سفوح جبل طويق . وأهم ما أشارت إليه هذه الكتابات هو أن « قرية » كانت عاصمة لدولة كندة وأن ملوك سبأ وذى ريدان قد غزوها أكثر من مرة . وتورد هذه الكتابات فى فترة تتراوح بين القرن الأول والقرن الخامس الميلادى .

يلدم المؤلف بعد ذلك شرحا وافيا لأهم المكتشفات الأثرية التى جاءت من الجزء الذى تم حفره حتى الآن « بقرية » بعد تصنيفها وحصرها فى ثمانية موضوعات كالتالى :

أولا العمارة :

استخدم سكان « قرية » الأحجار فى مبانيهم بعد أن قطعوها من المحاجر وصقلوها ، كما توضع مباني المقابر وأساسات المباني الهامة كالقصر والمعبد . واستخدموا اللبن المربع والمستطيل فى بناء منازلهم ومحلاتهم التجارية . وأهم المباني المعارية التى تم اكتشاف عنها هي :

١ - السوق : عبارة عن تجمع ضخم لمجموعة من المحلات التجارية يحيط به سور ضخم يتكون من ثلاثة جدران سميكة أسطرها من الحجر الجيري . أما الداخلى والخارجى فمن

الطين ، والسوق باب واحد ويعلمونه سبعة أبراج . ويقع السوق على مقرب من الحافة الغربية للوادي الذي يتصل بين جبل طويق وبين الحديد الشرقية للمدينة السكنية التي بدأ الحفر فيها الآن . ويقدم المؤلف وصفا معماريا للدكاكين التي بنيت كاملة بأبوابها الواسعة وواجهاتها المنيعة من الحجارة وبعض التفاصيل الأخرى . وقد لاحظ أن عددا كبيرا من الدكاكين يتكون من طابقين . وكذلك وجود مجمع مائي لخدمة أغراض أصحاب الدكاكين ..

٢ - القصر :

يوضح تخطيط القصر أنه يتكون من عدة حجرات وصلات وأروقة ولم يبق إلا أساسات وأجزاء باقية من الجدران وقواعد بعض الأعمدة . وتدل بقاياها على أنه بني من الأحجار المقلية بالجص من الداخل . إذ وجد على أرضية إحدى القاعات كتل من المبانى السائقة تعلوها طبقة جصية مقلوبة على وجهها انضج بعد رفعها بمثابة أنها تحمل مناظر مرسومة بالألوان ويغلب عليها اللون الأحمر . وستتناولها فيما بعد . ولا يزال الموقع في حاجة إلى مزيد من الكشف والدراسة .

٣ - المعبد :

يعتبر معبد « قرية » أول معبد قديم يكشف عنه داخل حدود المملكة العربية السعودية . ويكتسب هذا المعبد أهمية خاصة : حيث عثر بداخله على مجموعة من التماثيل البرونزية . فيها دلالات أسطورية أعطت معلومات جديدة لم تعطها من قبل مقابر أخرى في جنوب الجزيرة العربية : فهذه التماثيل توضح أهمية منطقة « قرية » كمركز حضارى في وسط الجزيرة العربية ووجود صلات حضارية تربطها ببلاد الشام وحوض البحر المتوسط ووادى النيل . هناك أيضا نقش يشير إلى بناء المعبد عثر عليه عند المدخل .

٤ - المقابر :

يرى المؤلف أن مقابر « قرية » تنتمي من حيث شكلها المعمارى وتخطيطها وتوزيعها في المنطقة الأثرية إلى ثلاث فئات سكانية .

أ - مقابر الملوك ، وهي عبارة عن حجرات مبنية في باطن الأرض تعلوها أبنية بها شواهد قبور مكتوبة . وأهم ما اكتشف عنه هو قبر « معاوية بن ربيعة » ملك قحطان ومذحج . كما يدل النقش المكتوب بالقلم المسند على شاهد القبر . وقد بنى قبره من الحجر الأملس ويصل إلى عمق خمسة أمتار . ولم يبق من العتورات إلا شاهد القبر فقط بحيث من الواضح أن المقبرة تعرضت من قبل للنهب على أيدي لصوص المقابر . وتوجد قطع حجرية كبيرة حول

المقبرة مما يوحي بأنه كان يطوها فناء كبير لتأدية الطقوس الجنائزية .

ب - مقابر التبلد وتقع على مقربة من مقبرة معاوية بن ربيعة . وقد تم الكشف عن مقبرة أخرى يطوها بقايا جدران ، ويؤدي الى حجرة الدفن السفلى مهبط يحق حوالي ثلاثة أمتار ونصف . وهي وإن كانت تشبه مقبرة الملك معاوية إلا انها تخلو من غرفة دفن خاصة بصاحب المقبرة . ومن أهم الاكتشافات شاهد قبر مكتوب بالقلم المستد يوضح ان صاحب هذه المقبرة هو « عجل بن قعق » ولقد عثر أيضا على مقبرة أخرى تنتمي إلى هذا النوع وهي لشخص يدعى « سعد بن أربعن » .

ج - مقابر العامة ، وتقع شمال شرقي المدينة على الحافة الغربية للوادي شمال السوق . وهي تشبه المقابر الإسلامية الحالية ، أي أنها عبارة عن لحود محفورة في سطح الأرض . وتغلل بكتل متساوية من اللبن ..

٥ - المساكن :

توضح الحفائر الأثرية التي أجريت بالمنطقة السكنية أنها مرت بثلاث فترات سكنية متعاقبة . ويوضح تخطيطها وجود أزقة وشوارع بين المنازل ، ووحدات سكنية متميزة ، ونزل ينزل بها التجار ، وقد رويحت الدقة في استقامة المباني ، واستخدمت الأخشاب للأبواب والنوافذ ، ويلاحظ وجود مجار للمياه النظيفة واستخدام الأحجار المصقولة في خزانات المياه ، وكذلك شيوخ استعمال الدرج في جميع الوحدات السكنية ، ويلاحظ أيضا وجود مخازن للفلال وأماكن للرحى حيث تطلعن الميوب . كذلك توجد منكات ومقاعد داخل الغرف . ويصل ارتفاع الدكان الى حوالي ٦٠ سم . وكل هذا يدل على فهم عميق لحياة متطورة واستخدام صحيح لأسس العارة في تلك الفترة ..

في الواقع انه باكتشاف المنطقة السكنية تكتمل العناصر الأساسية التي توضح لنا التخطيط المعماري للمدينة العربية قبل الاسلام . وهذه العناصر هي كما رأينا : السوق - القصر - المعبد - المقبرة - السكن . ولاتك أن هذه هي المرة الأولى التي نكتشف فيها الحفائر الأثرية سواء داخل حدود المملكة العربية السعودية أو خارجها عن نموذج متكامل لتخطيط المدن العربية في شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام ..

ثانيا : المكتبات :

كشفت الحفائر الأثرية عن مجموعة هائلة من المكتبات في دولة كندة . ويعتقد المؤلف أن الكتابة بالنسبة لهم كانت حاجة ملحة : نظرا لدور « قرية » التجارى بين الجنوب



والنهب والتمرد ، كما أن دورها السياسي كعاصمة لدولة كتدة يجعلها مركزاً لدور قيادي يحتم عليها الاهتمام بهذا الجانب الحيوي في علاقاتها مع الآخرين . لقد انتشرت الكتابة بشكل يبعث على الإعجاب بهذا المجتمع المتعلم ، فالكتابة هناك في كل موقع وفي كل اتجاه ، على سفوح الجبال بكهات هائلة وفي السوق والمعبد وعلى اللوحات الفنية وعلى جدران المدينة السكنية وعلى شواهد القبور . وعلى العظام والخشب والأواني الحجرية والرمية والفخار والنايل والأختام والسكوكات ، وعلى أغطية الجرار .

كل هذا يعني أننا أمام مجتمع كانت الكتابة تلعب فيه دوراً مهماً وأساسياً . وكان القلم المسند الجنوبي هو القلم الرسمي الذي يعبر به مواطنو « قرية » عن أفكارهم وخواطهم وشكلاهم . وهو القلم الذي استعملته ممالك جنوب الجزيرة العربية والموضوعات التي تناولتها كتابات « قرية » كانت موضوعات دينية وتجارية . وبعض المعلومات الخاصة

المتعلقة بالعلاقات الفردية . كما أن هذه الكتابات قد أوضحت التعريف بتبائل كانت ضمن مكونات هذا المجتمع . كذلك أمكن التعرف على « كهل » « معبود » « قرية » الأعظم ..

ثالثا : الرسوم الفنية :

اهتم الفنان العربي في شبه الجزيرة العربية برسم مشاهداته في الحياة اليومية على لوحات فنية تختلف في جودتها وإتقانها من مكان لآخر حسب ظروف المجتمع ومستوى الفنان ومدى قدرته على نقل مآسده . وقد درس المؤلف مراحل التطور التي مر بها فنان شبه الجزيرة العربية في « قرية » وقسمها إلى أربعة مراحل كالتالى :

١ - المرحلة الأولى :

وقد اتخذ فيها فنان « قرية » من سفوح الجبال الصخرية لوحات ينقر ويرسم عليها تخيلات ومشاهداته في الطبيعة . وكان الشكل الانسانى من الموضوعات الواضحة في ذهنه منذ مراحل الأولى : فقد فرق بين رسم الشخص العادى ورسم الإله ، حيث تخيل الإله في شكل إنسانى ضخم . ونقر شكلا على صخرة الجبل يطل على « قرية » يصل ارتفاعه إلى ١٠ أمتار في كامل ملاهيه ممسكا برمحين في يده اليسرى ويمتظا بسيف . ويعتقد المؤلف أن هذه الصورة ماهى إلا للالة « كهل » وأمامه ذلك السهل القصب يطل عليه حيث كانت تجرى مراسم الأعياد . وعلى سفح الجبل نفسه تنتشر رسوم مواكب الجبال - بعضها يحمل الهوداج - وخيول وأشخاص ومناظر حروب ..

٢ - المرحلة الثانية :

وفيها حاول الفنان العربي أن يرسم داخل المنازل - حمز رسومه في بلاط الجدران كما توضح غالبية الغرف . ثم خطا خطوة متقدمة نوعا ما . حيث استعمل الألوان في رسومه كي تبدو أكثر وضوحا وجاذبية .

٣ - المرحلة الثالثة :

تلاحظ أن الفنان في هذه الفترة أصبح يمثل كيانا له دوره في المجتمع . ولعله كان ينقذ أعماله بتكليف من سكان « قرية » فيرسم مناظر يفترحونها عليه أو يطلبونها منه . وينعكس هذا الانحياز بوضوح في أحد دكاكين السوق « بقرية » : إذ ظهر على جدرانه ثلاث لوحات تمثل رحلة صيد للجمال قام بها شخص ينطى صهوة جواد كتب فوق رأسه

كلمة « ملك » وفوق رأس شخص آخر كتبت كلمة « سالم بن كعب » . كما رسم الفنان كلاباً تسير في معية المركب . ثم تتكرر كلمة « كهل » بين هذه الرسوم . وقد نفذت رسوم الأسكالا باللونين الأسود والأحمر . وتعتبر هذه اللوحات من أهم الأعمال الفنية التي تعكس مرحلة متقدمة من فهم الفنان لرسم مشاهد تفصيلية من الحياة اليومية في هذه المرحلة ..

4 - المرحلة الرابعة :

في هذه المرحلة نجد أن فنان « قرية » قد قوى عيوده وتطور إدراكه للأساليب الفنية بشكل ملحوظ ، فثبت ألوانه ومزج بينها ونوعها . فجاءت لوحته آية في الابداع الفني . ونجد هذا الانجاء واضحاً في اللوحات الفنية التي عثر عليها في أنقاض القصر . وهذه اللوحات الفنية تمثل شريطاً أو إفريزاً من المناظر المرسومة فوق طبقة جصية رقيقة لا يزيد سمكها عن مليمترين فقط . وكانت عملية إنقاذها من بين الأنقاض وترميمها من أنقى العمليات . وقد تمت بكفاءة نادرة . والموضوعات الزخرفية التي بقيت من هذا الإفريز تتمثل كالآتي :

سمك يسبح في الماء . وخيول تخوض الماء لم يبق منها إلا السابك . وربما كانت هذه الخيول نجر عربية تعبر البحر أو النهر . لوحة أخرى يمثل عليها وجه لإنسان ذي عينين واسعين وشارب رفيع وعلى رأسه إكليل يوضح شخصيته الهامة . وربما كان ملكاً يتوج بمساعدة شخصية إلى يمينه ويساره لم يبق إلا أجزاء منها . وسولم جميعاً تنتشر الزخارف النباتية التي تتمثل في أوراق العنب وعناقيده . لوحة نائية عليها بقايا لأقدام الجبال ومعها أوراق العنب وعناقيده . لوحة أخرى عليها صورة لامرأة بجوارها مبخرة وكتابة توضح أنها « بنت كعب » . ثم تأتي لوحة عليها جمل يحمل هودجا . وإنسان يسك بخطام الجمل . وتتكرر في معظم اللوحات أوراق العنب وعناقيده .

لقد كان فنان « قرية » طوال مراحل تطوره الأربع فناناً أصيلاً . تكن أصوله في أنه احتفظ في فنه بطابع منطقته . والبيئة التي يعيش فيها . فرسم الآلهة والإنسان والجمل والهودج والخيول والمحاصيل والمباخر واستخدم القلم المسند . وحافظ على السهات العربية في كل أشكاله طوال رحلته الفنية من خلال أسلوب فني متطور يعكس روح العصر الذي يعيش فيه ..

رابعاً : التآليل :

حفلت « قرية » القاد أيضاً بمجموعة مهمة من التآليل . بقى معظمها في حالة جيدة .

بعضها صنع من المعادن والبعض الآخر نحت من الأحجار الجيرية والمرمر . كذلك وجدت تماثيل من الطين والخزف . بعض هذه التماثيل لأشكال آدمية كاملة أو أجزاء منها والبعض الآخر لأشكال حيوانية وغير ذلك من الأشكال المختلفة . وأهم التماثيل الأدمية . كان التمثال الرائع الذى عثر عليه فى المعبد، وهو من البرونز للطفل حاربيوكراتيس ابن الآلهة إيزيس . يرتدى على رأسه التاج المزودج الذى يرمز إلى مصر العليا ومصر السفلى . ويتدلى شعره على جانب رأسه . يقرب سياحه اليمنى من قمه . وهو يجنح ويمسك بيده اليسرى قرن الخير يتدلى من قوته العليا عنقود عنب . وربما قد أعيدت صياغة التمثال من جديد حيث نلاحظ استخدام عناصر عربية تتمثل فى « الدلاية » التى تتدلى على صدره . والتى تميزت بها بعض التماثيل البرونزية التى اكتشفت فى جنوب الجزيرة العربية . كذلك يظهر بوضوح عنقود العنب الذى رأيناه كدافع زخرفى أساسى فى « قرية » كما رأينا على الرسومات الجدارية . وتنتشر أوراق العنب وعنقايدَه أيضا كوحداث زخرفية فى جنوب الجزيرة العربية . هناك أيضا تمثال تصفى لامرأة من البرونز ترتدى تاجا على رأسها، وربما كانت ملكة أو آلهة . وتقال لشخص جالس على ساقيه ويده ممدودتان على فخذه فى وضع خشوع وتعبد . وهو من البرونز . وهناك أجزاء عديدة من تماثيل آدمية تتمثل فى أقدام وأذرع وقبضات أيادى وتماثيل لدلافين وتماثيل لحيوانات وروهوس لأسود من البرونز . وغير ذلك من التماثيل الأخرى العديدة صغيرة الحجم ..

خاصا - الخشب والعظم والعاج :

أعطى سكان « قرية » اهتماما خاصا بالخشب فاستخدموه فى أغراض عديدة . ورغم النطف الذى يصب هذه المادة . فقد بقيت بعض المصنوعات الخشبية منها : وعاء صغير على شكل طبق . وسكياى وجد فى أحد الدكاكين . وعدد من الأمشاط تظهر بها الأسنان الدقيقة من طرف والعريضة من طرف آخر مع خطوط زخرفية جميلة . أما عن مواد العظم والعاج، فقد عثر على قطع عديدة صنعت من هذه المواد قبل الأساور والحوائم والأقراص والدلايات والحزير والحلى . واستخدمت هذه المواد أيضا فى تزيين المقاعد ومقابض الخناجر والسيوف ..

وقد لوحظ أن عظام الجبال قد حفظت بعد تنظيفها للكتابة عليها . وهى المرة الأولى فى تاريخ الجزيرة العربية التى يعثر فيها على عظام مكتوبة . كما عثر أيضا على أقراص أسطوانية من العاج، استخدمت كمنازل للصدف . أما بالنسبة للعسوجات . فمعظم

القطع المنسوجة التي عثر عليها في « قرية » من الكتان وصوف الأغنام ووبر الجبال . وقد أمدتنا الرسوم والتأثيل الأنمية التي ترصدى الملابس أمثلة لتطور صناعة المنسوجات وتقدمها من حيث الصناعة .

سادسا : الصناعات المعدنية :

كتفت حفريات « قرية » عن العديد من الأدوات المعدنية والكسر المعدنية المختلفة . تفتت في أشكال القدور والسكاكين وأغصاء الحناجر والمراديف وسقايش الأدوات والأساور . وأهم هذه المنحورات : جزء من كأس فضية . عيار وزن مكعب الشكل مستطيل يعلوه مقبض نصف دائري عليه كتابات ورمز الآله « كهل » ويزن هذا المعيار حوالي أربعة كيلو جرامات . عثر أيضا على مسرجة من البرونز كمنزلة الشكل بحالة جيدة ..

سابعها - المسكوكات والحلى والزجاج :

تعتبر المسكوكات في « قرية » من أهم المنحورات . وتكمن أهميتها في أنها قد ضربت في « قرية » بمعظم ما عثر عليه كان من الفضة وتحمل على الوجه صورة شخص واقف أو جالس وهو في الغالب « كهل » معبود « قرية » . وعلى الظهر يأتي اسمه أو توقيعه واضحا . وأما عن الحلى فما وجد منها هو عبارة عن أساور من المعدن والزجاج أو العظام أو العاج ، وغالبا ما تكون هذه الأساور مزخرفة بزخارف جميلة منقولة من الطبيعة ، يخطوط على السطح الخارجي أو حبيبات دائرية تتكرر على محيط الأساور . عثر أيضا على بعض خواتم فضية ونحاسية وحديدية وبمجموعة كبيرة من الحفر بأشكال وأحجام مختلفة من العقيق والبللور الصخري والياقوت والزجاج المعتم والتفاف ، وقد استعملت كفضود وأغلاق (دلايات) وتعاويد . كما عثر على مجموعة كبيرة من الفصوص المختلفة الأحجام . أما بالنسبة للزجاج فتعتبر منحورات « قرية » معرضا رائعا لأشكال مختلفة وألوان شتى ، وتعكس بوضوح حركة التجارة ونحوها .

ثامنا : الأدوات الحجرية والفخار :

استعمل مواطنو « قرية » الحجر بنائية فائقة سواء ما كان منه محليا أو مجلوها من خارجها . وأهم هذه الأحجار البازلت والحجر الصابوني والأوسيدبان والكواتز والبللور الصخري والجرايت . وقد صبغت هذه الأحجار ألوانا متعددة الأشكال تستخدم في أغراض الحياة اليومية وصنعت منها أيضا تماثيل صغيرة . كذلك وجدت مجموعة من الرمي

إلى جانب العديد من الأحجار الكبيرة التي كانت تزين واجهات المعابد والمباني المختلفة حيث نجد عليها زخارف نباتية في أشكال هندسية . كذلك استخدمت الأحجار في صناعة الأفران وموائد القرابين والمذابح والأحواض والمرابض إلى جانب العديد من شواهد القبور المكتوبة بالقلم المسند .

أما بالنسبة للفخار فمن المعروف أنه من أهم المواد التي يكتشفها الأثريون لما يعطيه من معلومات تسهم في تحديد ملامح الأدوات التاريخية التي مرت بها الحضارات القديمة . وكشفت الحفائر الأثرية في « قرية » عن العديد من الأواني الفخارية ، وأمكن تحديد أنواعها وصفاتها وأشكالها الزخرفية التي نقش عليها .. وعثر أيضا على العديد من الكسر الفخارية بعضها يحمل كتابات ، وورد على بعضها اسم « كهل » وأسما أخرى منها « شمر بحر عسن » ملك حمير . وقد أمكن تصنيف فخار « قرية » بصفة عامة إلى فخار خشن ، منها مجموعات أواني خاصة بالاستعمال اليومي أو للأغراض الدينية بالمعابد والمغابر أو للأغراض التجارية . وأشكالها كانت القدور والأزياء والمجرات وأواني للزبادى . والمباخر والزمرميات والمصاق وأغطية الأواني التي يأخذ بعضها أشكال الحيوانات . يأتي بعد ذلك الفخار الرقيق . ويمتاز عن الخشن بنعوته ونقاء طيبته وتأثره بالأساليب الفنية الواردة للمنطقة . وقد عثر على كمية مناسبة من هذا النوع من الأواني الفخارية . وأبرز ما عثر عليه من الفخار الرقيق تلك الكسر النبطية التي وجدت في المنطقة السكنية . وهي ذات عجينه حراء نقية جيدة الحامة . وتنتمي إلى أجزاء من أطباق صغيرة وورقية مزخرفة من الداخل بزخارف ملونة باللونين الأسود والبرتقالي .

يأتي بعد ذلك الفخار المزجج أو الخزف وقد عثر عليه في « قرية » بكميات كبيرة لا تقل في حجمها عن الفخار غير المزجج . وتتعلل أشكال هذا النوع في الزهريات والأطباق والزبادى والأباريق وغيرها . ومن الملاحظ أن الأواني الخزفية في « قرية » قد تشكلت على دولاب . ويبدو ذلك واضحا من الحلقات الدائرية المتوازية حول أجسام الأواني . ويختلف عليها أسلوب الزخارف من قنن إلى آخر .



يستخلص المؤلف من هذه الاكتشافات النتائج الهامة التالية :

١ - أن الطراز المعاري الذي استخدمه سكان « قرية » في السوق والقصر والمعبد والمجزء الذي كشف عنه من المنطقة السكنية يدل دلالة واضحة على أنه يمثل طرازاً عربياً أصيلاً ، حيث برزت فيه مراعاة السكان لطرفي البيئة واحتياجاتهم المختلفة ، وبلا حظ أن بعض عناصر هذا الطراز تتمثل في الطرز المعارية التي تنتمي لحضارات أخرى سادت في القرون الأولى للميلاد في اليمن والبدو والحضر وسواحل آسيا الصغرى ..

٢ - تعتبر الكتابات التي عثر عليها في حفائر « قرية » من أهم المصادر الأثرية بالنسبة للمؤرخين ، فقد أفادتنا في التعرف على اسم عاصمة دولة كندة وأن اسمها « قرية » ووصفتها بأنها « ذات كهل » وبذلك نكون قد تعرفنا لأول مرة في التاريخ العربي على عاصمة هذه الدولة التي لم تشر إليها الكتب العربية من قبل ، كما لم تشر أيضاً إلى معبودها الرسمي « كهل » ، ومن أهم النقوش التي عثر عليها نقش الملك « معاوية بن ربيعة » إذ يمكن مقارنته بمضمون نقش التحارة ، ولذا أمكن تحديد تأريخه ، بحوالى القرن الثالث الميلادي . هناك أيضاً أسماء الأعلام التي ظهرت محزورة على الفخار ومنها اسم « شعر يبرعس » الملك الحميري الذي يعود إلى الفترة ذاتها ..

٣ - ولعل الرسوم الفنية التي وجدت في أقباض القصر قمة التطور الفني لهذه المدينة إذا ما قورنت بمثيلاتها في البلدان المتاخمة سواء في الشمال أو الجنوب ، بل يمكن القول بأنها تفوق فنونها من حيث دقتها وتناسقها وقدرة الفنان الذي رسمها في إبراز التفاصيل الدقيقة حتى جاءت رسوماته معبرة عن تصويره ورؤيته الفاحصة للبيئة التي يعيش فيها ، ويستبقى هذه اللوحات الفنية الرائعة النموذج الوحيد للأشكال المرسومة على الجدران في أرض الجزيرة العربية إلى أن نكتشف الحفائر الأثرية عن نظيرها ..

٤ - وتدل البقايا الحجرية والمعدنية تطوراً فنياً ملحوظاً في « قرية » ، فبالنسبة للبنايل المنحوتة من الأحجار المرمرية نجدها تعكس في أسلوبها الفني مزيجاً حضارياً يمتد منذ القرن الثاني ق.م في اليمن بصفة خاصة ، أما بالنسبة للبنايل المصنوعة من المعدن فهي تبرز التأثير الساساني بما يحمله من أساطير وأفكار دينية ترجع إلى نهاية العصر الهلنستي وطوال العصر الروماني وحتى القرن الخامس الميلادي ..

٥ - وبالنسبة للمسكوكات لاحظنا أن « قرية » ضربت عملاتها محلياً وأظهرت صورة

معبودها « كهل » على العملة كتعار لدولتها وهذا يعنى الاستقلال السياسى لدولة كنده . كما نلاحظ أيضا وقرة العملات المصنوعة من الفضة وهذا يعنى أيضا قوة التعامل التجارى مع الدول الخارجية المجاورة حيث يقتصر التعامل فقط على العملات الذهبية والفضية وماق مساوها. أما العملات البرونزية فهي قاصرة فقط على التعامل الداخلى فى المدينة . وبذلك تعطى « قرية » صورة فريدة لما كانت عليه الظروف السياسية والاقتصادية للمدينة العربية قبل الاسلام فى المملكة العربية السعودية . وتبنت الدراسة أن هذه العملات يعود تاريخها الى ما بين القرن الأول وحتى مطلع القرن الرابع الميلادى ..

٦ - ويمل فخار « قرية » الفخار علامة بارزة فى تطور تاريخ المدينة ويمكن مقارنة مرحلته الأولى بفخار القرنين الثانى والأول ق. م فى « جحر بن حميد » باليمن وكذلك بالفخار المثلثى والرومانى والنبطى وبخاصة المزجج منه . وتسير الأولى الى صناعته محليا وتطوره . رغم أن الحفريات لم تكتشف بعد عن أفران حرق الفخار فى « قرية » ..

وبعد .. فإن كل هذه الأدلة توضح أن مجتمع كنده كان مجتمعا متحضرا . فرغم بعده الجغرافى عن مراكز الحضارات القديمة التى عاصرتة ؛ إلا أن النشاط التجارى والنقل السياسى الذى تمثل فى دولة كنده جعل فى استطاعة « قرية » أن تجذب إليها أجمل ميزات تلك الحضارات وأن تتفاعل معها وتنتج حضارة خاصة بها متميزة بشكل واضح عما جاورها . لتقوم بدور حضارى فعال وسط الجزيرة العربية ..

إن هذا الكتاب جدير بالقراءة ؛ فهو يوضح لنا صورة دقيقة وشاملة لمجتمع دولة كنده بصفة خاصة والمجتمع العربى فى شبه الجزيرة العربية بصفة عامة فى فترة من أهم فترات تاريخ هذه الأمة . ويكتشف بموضوعية عن ظروف الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية لفترة كان يكتنفها الغموض فى تاريخنا الحديث . وبذلك يضيف الى المكتبة العربية عملا هاما للمختصين والباحثين فى آثار وتاريخ الجزيرة العربية .

